المحاضرة الحادية عشر

**نظرية التناص**

قبل تعريفنا للتناص لا بد من تعريف النص، هناك تعريفات عديدة لمصطلح النص، نأخذ على سبيل المثال منها تعريف **بول ريكور** ( كلمة نص تطلق على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة) [[1]](#footnote-1)، في حين نجد جوليا كريستيفا تعرف النص تعريفا جامعا بقولها:" النص هو جهاز نقل اللسان يعيد توزيع نظام اللغة واضحا الحديث التواصلي، نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة"[[2]](#footnote-2)، كما أورد محمد مفتاح تعريفات عديدة للنص حسب التوجهات المعرفية المختلفة، فهناك تعريف بنيوي ،تعريف اجتماعي وتعريف نفسي دلالي،... بعد محاولات تعريف مفهوم النص لا بد من المرور إلى تعريف كلمة التناص، وقد وردت هذه الكلمة في لسان العرب بمعنى الاتصال ( يقال هذه الفلاة تناص أرض كذا وتواصيها أي يتصل بها) [[3]](#footnote-3) ويفيد التناص معنى الازدحام والانقباض، وقد ورد في تاج العروس (انتص الرجل: انقبض، وتناصي القوم: ازدحموا) [[4]](#footnote-4)، وهذا المعنى الأخير أي **الازدحام** يقترب من مفهوم التناص بصيغته الحديثة، فتداخل النصوص قريب جدا من مصطلح الازدحام في النص، ونلاحظ احتواء مادة التناص على المفاعلة بين طرف وأطراف أخرى تقابلها يتقاطع معها ويتمايز في بعض الأحيان.

" التناص بمعنى intertext اصطلاحا، حيث تعني كلمة inter بالفرنسية التبادل، بينما كلمة text تعني النص، وأصلها مشتق من الفعل textere  وهو متعدي ويعني نسج، وبذلك يصبح معنى intertext بمعنى التبادل الفني، وقد ترجم إلى العربية بمعنى التناص الديني، ويعني تعالق النصوص ببعضها البعض." [[5]](#footnote-5) ويعتبر التناص عند جوليا كريستيفا كما يريده سعيد علوش في كتابه معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، "أنه أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها معاصرة لها"[[6]](#footnote-6).

ويرى سوليرس " التناص في كل نص يتموضع في ملتقى نصوص كثيرة بحيث يعتبر قراءة جديدة تشديدا وتكثيفا" [[7]](#footnote-7)

كما يرى **فوكو** بأنه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيرا آخر، كما أنه لا يتولد من ذاته بل من تواجد أحداث متسلسلة في معنى كلامه.

يعد التناص عملية وراثية للنصوص، فكل نص متناص يحمل معه بعض الصفات في النص الآخر، وقد عانى مصطلح التناص في النقد العربي الحديث من تعددية المصطلح فقد ظهر في حقل النقد العربي بعدة ترجمات منها النصوصية، تداخل النصوص، النص الغائب، تفاعل النصوص، النصوص المهاجرة،....إلخ

كما شهد التناص أيضا تداخل واسعا بينه وبين مفاهيم أخرى مثل الأدب المقارن، المثاقفة، والسرقات الأدبية نتيجة التقارب بينهم، إلا أنه يختلف معهم عل صعيد المعالجة النقدية لما يفرضه من آليات ومستويات مختلفة تجعله بعيدا كل البعد ف الفعل الاجرائي عن تلك المفاهيم، إن النص كما يقول محمد مفتاح " فسيفساء من نصوص أخرى أُدمجت فيه بتقنيات مختلفة " [[8]](#footnote-8)

وتوالد النصوص عن نصوص أخرى هذا عني التداخل والتعالق وهذا لا يعني الاعتماد عليها أو محاكاتها، بل إن التناص يتجسد في صراع النص مع نصوص أخرى ولا يتداخل مع نصوص قديمة فقط بل يتضمن التداخل مع نصوص آنية كذلك، وبالتالي فإن النص الآتي قد يمنح النصوص القديمة تفسيرات جديدة ويظهرها بحلة جديدة لم يكن من الممكن رؤيتها إلا من خلال التناص.

إن التناص في النقد الغربي الحديث إن -عدنا إلى جذوره الأولى- فإنه من أبرز النقاد الأوائل نكر جوليا **كريستيفا** وإذا انتهينا بجيرارد **جينيت** فإن الجذر الأساس لمصطلح التناص الذي قام حديثا كان مع الشكلانيين الروس انطلاقا من **شيكلوفيسكي** الذي فتق الفكرة غذ يقول " إن العمل الفني يُدرك من خلال علاقته بالأعمال الفنية الأخرى والاستشهاد إلى الترابطات التي تقيمها فيما بينها ولكن **باختين** كان أول من صاغ نظرية بأتم معنى الكلمة في تعدد القيم النصية المتداخلة" [[9]](#footnote-9)

إن **باختين** لم يستعمل كلمة " التناص" بل استخدم كلمة " التداخل " مثل التداخل السيميائي والتداخل اللفظي، " فالكاتب من وجهة نظره يتطور بالبحث في عالم من كلمات الآخرين ليبحث عن طريقة لا يلتقي فكرة إلا بكلمات تسكنها كلمات أخرى، لذلك فإن كل خطاب يتقاطع مع الخطابات السابقة بشكل ظاهريا أو خفي وهو يطرح نظرية الحوارية"[[10]](#footnote-10) ، هذه النظرية التي طرحها ميخائيل باختين تعني (**الصوت المتعدد)** وتعد مقدمة أساسية وجذرية لمفهوم التناص الذي تبلور على يد جوليا كريستفا "التي كتبت عديد الأبحاث من سنة 1967 إلى 1996 وصدرت في مجلتي تيل كيل و كيرتيك وأعيد نشرها في كتابيها سيميوتيك ونص الرواية"[[11]](#footnote-11)، ولقد نفت كريستيفا وجود نص خال من تعالق نصوص أخرى فالتناص عندها أحد مميزات الن الأساسية التي تحيلنا إلى نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها.

إن التناص عند **بارث** بمثابة " البؤرة التي تستقطب اشعاعات النصوص الأخرى وتتحد مع هذه البؤرة لتؤسس النص الجديد المتناص ومن ثم يخضعان في الآن نفسه إلى قوانين التشكل أو البناء وقوانين التفكك أي الإحالة إلى مرجعية أو نصوص أخرى" [[12]](#footnote-12).

إن النص في ضوء مفهوم التناص متغير ومتجدد بعلاقاته مع نصوص أخرى وديناميكي كونه يتوالد من خلالها، إنه يمنح النوص القديمة تفسيرات جديدة وتحدد آليات التناص بآلية الاستدعاء والتحويل وهو ما يتطلب النظر إلى اللغة باعتبارها لغة منتجة منفتحة على مرجعيات مختلفة، وتشترط **جوليا كريستيفا** مفهوم الإنتاجية وتحققه في النص الجديد.

كما يؤكد الدكتور **أحمد الزعبي** في كتابه التناص نظريا وتطبيقيا " إن موضوع التناص ليس جديدا تماما في الدراسات النقدية المعاصرة، وان جذوره تعود في الدراسات الشرقية والغربية إلى تسميات ومصطلحات أخرى كالاقتباس والتضمين والاستشهاد والقرينة والتشبيه والمجاز والمعنى وما شابه ذلك في النقد العربي القديم فهي مصطلحات أو مسائل تدخل ضمن مفهوم التناص في صورته الحديثة لكنه يؤشر إلى مسألة هامة تتمثل في التفاوت الحاصل في رسم حدود المصطلح وتحديد موضوعاته ولعل هذه الإشكالية المنهجية تتجاوز مفهوم التناص إلى غيره من النظريات النقدية الحداثية ما بعد الحداثية نظرا لتعدد الاتجاهات والتيارات النقدية" [[13]](#footnote-13).

وقد حاول **محمد مفتاح** أن يعرض مفهوم التناص اعتمادا على طروحات كريستيفا وبارث ملخصا ذلك في تعريف جامع للتناص هو "(**التعالق**) أي الدخول في علاقة مع نص بكيفيات مختلفة "[[14]](#footnote-14)، وفي كتابه الآخر دينامية النص يعطي مفهوما جديدا للتناص وهو ( الحوارية) وقد حدد في كتاب آخر ست درجات للتناص مخالفا كريستيفا وجينيت اللذين قدما ثلاث درجات للتناص وذلك بعد تعريفه للتناص أنه " نصوص جديدة تنفي مضامين النصوص السابقة، وتؤسس مضامين جديدة خاصة بها يستخلصها مؤول بقراءة إبداعية مستكشفة وغير قائمة على استقراء أو استنباط" [[15]](#footnote-15)، وهذه الدرجات الست يمكننا ذكرها "هي 1- التطابق

1. التفاعل
2. التداخل
3. التحاذي
4. التباعد
5. التقاصي "[[16]](#footnote-16)

في حين نجد الناقد **محمد بنيس** قد اوجد مصطلحا جديدا للتناص أسماه (**النص الغائب)** وقد اعتمد في ذلك على طروحات كريستيفا وبارث وتودوروف، فالتناص عده يحث عنده من خلال ثلاثة قوانين هي: الاجترار، الامتصاص والحوار، ويضع بنيس للنص المتناص مرجعيات عدة منها الثقافية والدينية والأسطورية والتاريخية والكلام اليومي"[[17]](#footnote-17)

إن التناص بمعناه العام تضمين نص في نص آخر وهو في ابسط تعريف له تفاعل خلّاق بين نص حاضر ونص غائب، وما هو إلا توالد لنصو سبقته ويعطي سعيد يقطين عدة " تسميات مشتقة من النص والتناص كالتفاعل النصي والتناص التداخلي وهو يحدد نوعين من التناص تناص عام وتناص خاص" [[18]](#footnote-18)

1. بول ريكورت، النص والـتأويل، مجلة العرب و الفكر العالمي، ع3 ،1998، ص 37 [↑](#footnote-ref-1)
2. حسين ميرزائي، التناص الأدبي ومفهومه في النقد العربي الحديث، موقع www.diwanalarab.com [↑](#footnote-ref-2)
3. ابن منظور، لسان العرب، مادة نص، مجلد 1 ، دار صادر للنشر ، بيروت، لبنان، ط1 ،ج7، 1997، ص98

   ، [↑](#footnote-ref-3)
4. حسين ميرزائي، التناص الأدبي ومفهومه في النقد العربي الحديث، موقع www.diwanalarab.com [↑](#footnote-ref-4)
5. حسين ميرزائي، التناص الأدبي ومفهومه في النقد العربي الحديث، موقع www.diwanalarab.com [↑](#footnote-ref-5)
6. علوش سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1985، ص 215 [↑](#footnote-ref-6)
7. حسين ميرزائي، التناص الأدبي ومفهومه في النقد العربي الحديث، موقع www.diwanalarab.com [↑](#footnote-ref-7)
8. أحمد ناهم، التناص في شعر الرواد –دراسة- بغداد، العراق، ط 1، 2004، ص 21 [↑](#footnote-ref-8)
9. حسين ميرزائي، التناص الأدبي ومفهومه في النقد العربي الحديث، موقع [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com) 10/01/2021، 13 زوالا [↑](#footnote-ref-9)
10. ميخائيل باختينن، الخطاب الروائي، تر محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987، ص 53-54 [↑](#footnote-ref-10)
11. حسين ميرزائي، التناص الأدبي ومفهومه في النقد العربي الحديث، موقع [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com) 10/01/2021، 13 زوالا [↑](#footnote-ref-11)
12. حسين ميرزائي، التناص الأدبي ومفهومه في النقد العربي الحديث، موقع [www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com) 10/01/2021، 13 زوالا [↑](#footnote-ref-12)
13. أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقا مؤسسة عمان للنشر والتوزيع، عمان ط 2000، ص 19 [↑](#footnote-ref-13)
14. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، دار رؤية للنشر والتوزيع ،أكتوبر 2018، ص 121 [↑](#footnote-ref-14)
15. محمد مفتاح، المفاهيم معالم حو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1999، ص 41 [↑](#footnote-ref-15)
16. محمد مفتاح، المفاهيم معالم حو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1999، ص 47 [↑](#footnote-ref-16)
17. محمد بنيس، حداثة السؤال، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت ط1، 1985، ص117 [↑](#footnote-ref-17)
18. ينظر، سعيد بقطين، انفتاح النص الروائي، النص، السياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاءن بيروت، ط 1، 1989، ص 95 [↑](#footnote-ref-18)